صوتُ الهمزةِ في المنظورِ الصوفيّ
ابنُ عربي أنموذجا

أ . د : عادل نذير بيري الحسانيّ
جامعة كربلاء / كلّيّة التربيّة / قسم اللغة العربيّة

م . م : عمّار عبد العبّاس عزيز الشمّريّ
مديرية تربية محافظة كربلاء المقدّسة

The sound of the hamza in the Sufi perspective: Ibn Arabi as a model

Prof Dr. Adel Nazir Berry Al-Hassani
Assist lecturer Ammar Abdel-Abbas Aziz Al-Shammari

الملخص

يأخذُ هذا البحثُ جنبةً قلّما يبحثُ فيها المختصّونَ في اللغةِ العربيةِ، إذ يراقبُ السيميائيّةَ التي تبثّها خصائصُ حروفِ اللغةِ على فكرِ المتصوّفةِ، فهؤلاءِ تناولوا في مدوّناتِهم الحروفَ من وجهةِ فكرِهم وتجلّياتِ كشفِهم، لكنّهم اعتمدوا على مخرجاتِ الدراسةِ اللغويّةِ، فربطوا بينهما وبينَ معتقداتِهم، محاولةً في أن يُثبتوها. هذا البحثُ ارتبطَ بالصوفيِّ ابنِ عربيّ 638هـ وانقسمَ على محاورَ ثلاثةٍ بعدَ المقدّمة، الأوّل في مرتبةِ الهمزةِ وطبيعتِها عندَه، والثاني عن مخرجِها، والثالثِ عن صفاتِها. وقد استعرضنا أوّلا رؤيةَ المجوّدينَ واللغويّينَ، ثمَّ انتقلنا إلى فكرِ ابنِ عربي لنتابعَ كيفيّةَ تعاملِه معها في مجاهداتِه وكشفيّاتِه.

Abstract:

This research takes a side that is rarely discussed by specialists in the Arabic language. It observes the semiotics transmitted by characteristics of the language's letters to the thought of the Sufis. In their blogs, these people dealt with letters from the point of view of their thought and manifestations of their revelation, but they relied on the results of the linguistic study, so they linked them with their beliefs, in an attempt to prove them. This research is associated with the Sufi Ibn Arabi 638 AH, and is divided into three sections after the introduction, the first is about the rank and nature of the hamza, the second is about its origin, and the third is about its attributes and qualities. We first reviewed the vision of the philologists and the linguists, then we moved to the thought of Ibn Arabi to follow how he dealt with it in his struggles and scouts.

تقديم:

الهمزةُ في اللغةِ (فَعْلة) من الفعلِ (همزَ) بمعنى (مفعولة)، يذكرُ ابنُ فارسَ 395هـ أنّ هذا الأصلَ يدلُّ على ضغطٍ وعصرٍ، وهمزتُ الشيءَ في كفّي عصرتُه، وينسحبُ هذا المعنى إلى الهمزِ في الكلامِ، فيُقالُ همزَ الحرفَ أي ضغطَه[١]، وهذه الضغطةُ تُسمّى (النبرُ) أيضًا.

وفي الاصطلاحِ تُطلقُ تسميةُ (الهمزةِ) على صوتٍ من أصواتِ اللغةِ العربيّةِ، وإنّما سُمّيَ هذا الصوتُ الحنجريُّ بهذه التسميةِ نسبةً إلى طريقةِ إخراجِه أو الصفةِ التي يكونُ عليها خروجُه، فقد وصفَها سيبويه 180هـ بأنّها نبرةٌ (=ضغطة) في الصدر تخرجُ باجتهاد[٢]. ويوضّحُ المحدثونَ تلكَ الآليةَ أكثرَ، إذ عندَ النُطقِ به ينطبقُ الوتران الصوتيّان انطباقًا مُحكمًا، فيبقى الهواءُ المنبعثُ مِنَ الرئتينِ منضغطًا خلفَهما لحظةً، ثُمَّ ينفرجانِ فيُسمعُ صوتُ الهمزةِ[٣].

وهذه الهيأةُ النطقيّةُ ثقيلةٌ في إخراجِ هذا الصوتِ؛ ممّا أدّى إلى تصرّفِ العربِ به في نُطقِه، بل لم يألفِ اللغويّونَ عن قريشٍ أنّها تهمزُ، وكذلكَ الحجازيّونَ[٤]، فقد رصدوا تصرّفَهم بنطقِ الهمزةِ من معايشتِهم، وعبرَ القراءاتِ القرآنيّةِ وخصوصًا الشاذّةِ.

لقد أثبتَ جمهورُ اللغويّينَ هذا الصوتَ؛ لكونِه مُتحقّقًا باللفظِ وله مخرجٌ محدّدٌ، فكانَ عددُ الحروفِ عندَهم 29 حرفًا، بينَما ألغته طائفةٌ منهم؛ بحجّةِ أنّه لا صورةَ له في الخطِّ. أبرزُ هؤلاءِ المبرّد 285هـ[٥]، وقد لقيَ ردًّا منَ العلماءِ كابنِ جني 392هـ إذ قالَ: ((وهذا الذي ذهبَ إليه أبو العبّاسِ غيرُ مرضيٍّ منه... وذلكَ أنّ جميعَ هذه الحروفِ إنّما وجبَ إثباتُها واعتدادُها لمّا كانَت موجودةً في اللفظِ الذي هو قبلَ الخطِّ، والهمزةُ أيضًا موجودةٌ في اللفظِ))[٦]. والغريبُ في الأمرِ أنّكَ تجدُ للهمزةِ رسمًا خاصًّا لا تكونُ فيه على الألفِ أو الواوِ أو الياءِ، وذلكَ في (كساء) و (مروءة) وغيرِها[٧].

ولم يفُت على ابنِ عربيّ هذا الأمرُ، فقد ذكرَ في كلامِه عن مخرجِ الهمزةِ أنّهم ((اختلفوا هل هي حرفٌ أو نصفُ حرفٍ في الحروفِ الرقميّةِ، وأمّا في التلفّظِ بها فلا خلافَ أنّها حرفٌ عندَ الجميعِ))[٨]، ويقصدُ بالحروفِ الرقميّةِ الرموزَ التي تدلُّ على الحرفِ اللغويِّ. ورمزُ الهمزةِ نصفُ العينِ (ء)، فهي مقتطعةٌ من رمزِ العينِ؛ بسببِ العلاقةِ الصوتيّةِ بينَ الحرفينِ[٩].

لقد تحدّثَ المجوّدونَ وأهلُ اللغةِ عن هذا الصوتِ من حيثُ المخرجِ والصفةِ وطرائقِ تسهيلِه، ولكنّ قراءتنا هذه لا تقفُ كثيرًا عندَ هذا الأمرِ، بقدرِ ما تُريدُ الوقوفَ على المدوّنةِ الصوفيّةِ؛ لترى الطريقةَ التي عالجَ بها المتصوّفةُ هذا الصوتَ، والسيميائيّةَ التي انبثقَت ممّا قرَّ في الدرسِ اللغويِّ لترتسمَ في الإشاراتِ والمجاهداتِ الصوفيّةِ، وسنركّزُ البحثَ في مصنّفاتِ ابنِ عربي؛ كونَه أمعنَ في توظيفِ الأبعادِ اللغويّةِ في دراسةِ الحروفِ، وجعلَها خلفيّةً ينطلقُ منها في تصويرِ نظريّةِ وحدةِ الوجودِ التي يؤمنُ بها.

والكشفُ عندَ الصوفيّةِ يعني ظهورُ بواطنِ الأمورِ لخواصِّ عبادِ اللهِ فضلًا عن الأنبياءِ والأوصياءِ، وهو من ألطافِ اللهِ، وهذا الكشفُ للخواصِّ لا يكونُ بوحي وإنّما يُدركُ بالحسِّ والذوقِ، بعدَ أن يمرَّ العبدُ بتخليصِ النفسِ ممّا يحجبها عن ألطافِ اللهِ، قالَ ابنُ عربيّ: ((واعلم أنّ حقيقةَ الكشفِ اطّلاعٌ على ظاهرٍ من عالمٍ باطنٍ يستجليه إدراكٌ باطنٍ حسٌّ من الحواسِ، يُجاري به المطّلعُ حذوَ مدركاتِ ظاهرِ حسِّه))[١٠].

مرتبةُ الهمزةِ وطبيعتُها:

مهّدَ ابنُ عربيّ في حديثِه عن الحروفِ بتناولِها تكوينيًّا، انطلاقًا من نظرتِه في وحدةِ الوجودِ، فالعالمُ (الوجودِ الإمكانيّ) يُمثّلُ انعكاسًا للذاتِ الإلهيّةِ (الوجودِ الواجبِ)، وكلاهما وجودٌ واحدٌ. قالَ: ((إنّه لمّا كانَ الوجودُ مطلقًا من غيرِ تقييدٍ يتضمّنُ المكلِّفُ وهو الحقُّ تعالى، والمكلَّفينَ وهم العالمُ، والحروفُ جامعةٌ لما ذكرنا))[١١]. أي أنّ في الحروفِ ما هو مقامٌ للمكلِّفِ وما هو مقامٌ للمكلَّفينَ، فهي ليست بدرجةٍ واحدةٍ في الوجودِ.

ثُمَّ يذكرُ أنّ الحروفَ على مراتبَ أربعةٍ،

سبعيّةٍ وثمانيّةٍ وتسعيّةٍ وعشريّةٍ، وهذه القيمُ الرقميّةُ تُشيرُ إلى عددِ أفلاكِ تلكَ الحروفِ المنتميةِ للمرتبةِ، والهمزةُ تقعُ في المرتبةِ العشريّةِ ومعَها الباءُ والتاءُ والثاءُ والجيمُ والحاءُ والخاءُ والدالُ والذالُ والطاءُ والظاءُ والفاءُ والقافُ والكافُ والميمُ والهاءُ والواوُ والياءُ[١٢]، أي أنّ عددَ أفلاكِها عشرة.

وربَّ سائلٍ عن سببِ وضعِ مراتبِ الحروفِ على أربعةٍ، وهذا جوابُه قد قدّمناه إلماحًا، وهو أنّ إيمانَ ابنِ عربيّ منصبٌّ على وحدةِ الوجودِ، والأربعةُ هي الموجوداتُ (الحضرة الإلهيّة، الملائكة، الإنسان، الجنّ)، ولكلِّ مرتبةٍ حظٌّ من هذه الموجوداتِ الأربعةِ، والهمزةُ عندَه من حظِّ الملائكةِ.

لقد حاولَ الباحثُ الوقوفَ على سرِّ هذا الربطِ بينَ الحرفِ وما يُقابلُه من الموجوداتِ الأربعةِ فلم يقع له شيءٌ، فالمسألةُ يشوبُها غموضٌ كثيفٌ لم يكشف عنه ابنُ عربيّ، فما علاقةُ الهمزةِ ومجموعتِها بوجودِ الملائكةِ؟ علمًا أنّ المرتبةَ العشريّةَ التي منها الهمزةُ عندَه مرتبةٌ ثانيةٌ في الوجودِ؛ لأنّ الملائكةَ موجوداتٌ قبلَ الإنسانِ والجانِّ، ولكن لا يُمكنُ تصوّرُ أنّ هذه المرتبةَ أشرفُ من مرتبةِ الإنسانِ؛ لأنّ الملائكةَ تحملُ عقلًا من دونِ غريزةٍ، والإنسانُ يحملُهما معًا، فلو أخلصَ هذا كانَ أشرفَ من الملائكةِ.

أمّا عن عددِ الحروفِ في كلِّ مرتبةٍ فقد أخبرَ عن الرباطِ فيما بينَها وبينَ الموجوداتِ التي تُقابلُها، ولم يذكر شيئًا في ربطِ حروفِ المرتبةِ العشريّةِ بالملائكةِ! وعلى سبيلِ المثالِ، قالَ في المرتبةِ التسعيّةِ التي حروفُها (العين والغين والسين والشين): ((فحصلَت الأربعةُ للجنِّ الناريِّ لحقائقَ هم عليها وهي التي أدّتهم لقولِهم فيما أخبرَ الحقُّ تعالى عنهم: "ثُمَّ لآتينَّهم من بينِ أيديهم ومن خلفِهم وعن ايمانِهم وعن شمائلِهم"[١٣]))[١٤].

انظر كيفَ يربطُ بينَ قولِ إبليسَ - وهو من الجنّ - في إتيانِه لبني آدمَ من جهاتٍ أربعةٍ، وهي الأمامُ والخلفُ واليمينُ والشمالُ، وبينَ الحروفِ الأربعةِ في المرتبةِ الخاصّةِ بالجنِّ، وهو ربطٌ يعتدُّ على الكشفِ كما يدّعي، وقد كنّا نأملُ أن يُبيّنَ من مثلِ هذا في المرتبةِ الخاصّةِ بالملائكةِ، أي المرتبةُ التي منها الهمزةُ، لكنّه لم يفعل[١٥].

وفي مكانٍ آخرَ من كتابِه يُصرّحُ بأنّ الحروفَ فيها مراتبٌ مشابهةٌ لمراتبِ البشرِ، قالَ: ((اعلم وفّقنا اللهُ وإيّاكم أنّ الحروفَ أمّةٌ من الأممِ مخاطبونَ ومكلّفونَ، وفيهم رسلٌ من جنسِهم، ولهم أسماءٌ من حيثُ هم، ولا يعرفُ هذا إلّا أهلُ الكشفِ من طريقتِنا))[١٦]، وهذه التصوّراتُ بناءً على اتّحادِ الوجودِ، فالحروفُ أمّةٌ لها واقعُها الخاصُّ، الذي يُناظرُ حالَ باقي الأممِ من المخلوقينَ، بشرًا أو غيرَهم.

ثمَّ يسترسلُ ابنُ عربيّ في بيانِ طبائعَ الحروفِ، والطبيعةُ في الحرفِ عندَ الصوفيّةِ خواصٌّ ماديّةٌ موجودةٌ في العناصرِ الطبيعيّةِ في الوجودِ، تمتزجُ خاصيّتانِ لتكوّنا عنصرًا طبيعيًا، والعناصرُ هي:

الماءُ ← برودة + رطوبة
الهواء ← حرارة + رطوبة
التراب ← برودة + يبوسة
النار ← حرارة + يبوسة

هذه هي العناصرُ والخواصُّ التي تمتزجُ لتكوّنَ العنصرَ، والهمزةُ معَ الهاءِ من المرتبةِ العشريّةِ طبيعتُهما (باردة رطبة)[١٧]، ومن ثَمَّ فهما مائيّتانِ، والحروفُ الرطبةُ تُعطي السهولةَ في المطلوبِ، والبرودةُ تُعطي البطءَ[١٨]، والملاحظُ هنا أنّ الحرفينِ مخرجُهما واحدٌ، فهو ملتفتٌ لهذا الشيءِ إذ خلعَ عليها هذه الطبيعةِ، إلّا أنّه يُفاجئنا بعدَ هذا الكلامِ بأن يقولَ أنّ طبعَ الهمزةِ الحرارةُ واليبوسةُ وعنصرُها النارُ[١٩]! وهذا ما لم أجد تفسيرَه، سوى أن تكونَ الطبيعةُ هنا بلحاظِ شيءٍ يختلفُ عمّا لحظَه في تبيانِ الطبيعةِ في كلامِه الأوّل.

مخرجُ الهمزةِ:

نظرة ابنِ عربيّ للحروفِ تأويليّةٌ، ترتكزُ على التوازي ما بينَ مراتبِ الوجودِ، وهو نظرٌ فلسفيٌّ قد شغلَ أناسًا من المسلمينَ، وأحسبُ أنّ النضوجَ كانَ عندَ

ابنِ عربيّ، فليست الحروفُ مادّةً منطوقةً فحسب، وإنّما هذا ظاهرُها، ومن ورائه يكمن الباطنُ الذي غابَ عن معظمِ الناسِ، وهو كونُها تمثّلُ أرواحًا لملائكةٍ تُسمّى بأسماءِ هذه الحروفِ[٢٠].

والمخرجُ هو ((محلُّ خروجِ الحرفِ الذي ينقطعُ عندَه الصوتُ تحقيقًا أو تقديرًا))[٢١]، وقد حدّدَ المجوّدونَ واللغويّونَ مخارجَ الحروفِ، و اتّفقوا على أنّ الهمزةَ تخرجُ من أقصى الحلقِ معَ الهاءِ[٢٢]، فهما أبعدُ الحروفِ من الداخلِ في الجهازِ النطقيِّ، ولا نجدُ افتراقًا بينَ القدماءِ والمحدثينَ في مخرجِ الهمزةِ سوى أنّ هؤلاءِ جعلوه من الحنجرةِ، وهذه التسميةُ لم تكن معلومةً عندَ الرعيلِ الأوّلِ من علماءِ اللغةِ.

وابنُ عربيّ ملتزمٌ بهذا الخروجِ للحرفِ، بل وموافقٌ له في جميعِ أحوالِه سوى حرفِ الألفِ، قالَ: ((لها من المخارجِ أقصى الحلقِ))[٢٣]، ولم يجعلِ الألفَ من هذا المخرجِ كما جعلَه سيبويه وغيرُه، وهو ما يوافقُ رؤيةَ علمِ اللغةِ الحديثِ. ولا ننسى أن نُشيرَ إلى الترتيبِ المخرجيّ الذي اتّبعَه في تصنيفِ الحروفِ، فقد اتّبعَ الترتيبَ الصوتيّ الذي وردَ عندَ سيبويه، إلّا أنّه لم يجعلِ الألفِ ذا مخرجٍ، بل وليسَ من الحروفِ، قالَ: ((الألفُ ليسَ من الحروفِ عندَ من شمَّ رائحةً من الحقائقِ ولكن قد سمّته العامّةُ حرفًا))[٢٤]، فجعلَ مبدأ المخارجِ من الهمزةِ في أقصى الحلقِ.

ويبدو أنّ ذكرَه للمخرجِ كانَ عرضًا، إذ جعلَه خلفيّةً ينتقلُ منها للحديثِ عن الكشفِ الصوفيّ والفلسفةِ العرفانيّةِ، لذلكَ وجدناه يقولُ: ((وأمّا قولُنا مخرجُه كذا فمعلومٌ عندَ القرّاءِ، وفائدتُه عندَنا أن تعرفَ أفلاكَه، فإنّ الفلكَ الذي جعلَه اللهُ سببًا لوجودِ حرفٍ ما ليسَ هو الفلكَ الذي وُجدَ عنه حرفٌ غيرُه))[٢٥].

إنّه يربطُ بينَ المخرجِ الذي هو محلُّ لإخراجِ الحرفِ للوجودِ عندَ علماءِ التجويدِ واللغةِ، وبينَ الفلكِ الذي هو محلُّ لإخراجِ الحرفِ للوجودِ عندَ ظنِّ العالمِ الصوفيِّ ، ولكلِّ حرفٍ فلكٌ، فإذا اتّحدَ الحرفُ معَ آخرَ في مخرجٍ واحدٍ عندَ اللغويّينَ فالفرقُ عندَ الصوفيّةِ أنّ دورةَ فلكِ أحدِهما تختلفُ عن الآخرِ.

إنّ المكانَ المخرجيَّ للهمزةِ مقارنةً معَ باقي الحروفِ له دلالةٌ سيميائيّةٌ في فكرِ المنهجِ الصوفيِّ عامّةً، وابنِ عربيٍّ خاصّةً؛ إذ نراه يستثمرُ موقعيّةَ الهمزةِ ليُناظرَ به موقعَ الهمزةِ من العوالمِ، فقد جعلَها من عالمِ العظمةِ أو الجبروتِ[٢٦]؛ لأنّها تحتلُّ أعلى المواقعِ المخرجيّةِ في جهازِ النطقِ على وَفقِ التسلسلِ الصوتيِّ لحروفِ المعجمِ، والدليلُ على ما نقولُ أنّه جعلَ الباءَ والميمَ من العالمِ الأسفلِ، علمِ الملكِ والشهادةِ، والأسفليّةُ التي حصلَ عليها الحرفانِ تناظرُ مخرجهُما الذي هو عكسُ مخرجِ الهمزةِ، حيثُ أنّهما أقربُ المخارجِ إلى الخارجِ (الشفتان).

سبقَ أن ذكرنا أنّ طبيعةَ الهمزةِ عندَ ابنِ عربيّ في قولِه الأوّلَ مائيّةٍ، والماءُ هو الأصلُ لوجودِ الأحياءِ، قالَ تعالى: ((وجعلنا منَ الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ))[٢٧]، ولذلكَ ذكرَ ابنُ عربي أنّ الهمزةَ لها مبدأ الأوّليّةِ؛ لأنّها أوّلُ مستطاعِ النطقِ[٢٨]، ولكنّ هذه الأوليّةَ لها من الصعوبةِ النطقيّةِ ما جعلَ هذا الحرفَ محلًّا للتغييرِ عندَ الناطقِ العربيِّ.

صفاتُ الهمزةِ:

نالت صفاتُ الأصواتِ عنايةً كبيرةً عندَ العلماءِ – قدماء ومحدثين – بعدَ أن أدركوا وظيفةَ الصِّفةِ في تمييزِ الأصواتِ المتحدّةِ في المخارجِ، فضلًا عن الدَّورِ الكبيرِ الذي تؤدّيه في تفسيرِ كثيرٍ من الظَّواهرِ والقضايا اللُّغويَّة، فكانَ أن درسوا صفاتَ الأصواتِ دراسةً مبنيَّةً على أسسٍ علميّةٍ شاملةٍ، تنطلقُ من فكرٍ رصينٍ. وقد سبقَهم المجوّدونَ بحكمِ حاجتِهم لمعرفةِ الصفاتِ في تجويدِ القرآنِ.

والصفةُ للحروفِ ((كيفيّةٌ عارضةٌ للحرفِ عندَ حصولِه في المخرجِ))[٢٩]، وتبرزُ قيمةُ الصفةِ في التمييزِ بينَ الأصواتِ المتّحدةِ في المخرجِ (صفات مميّزة)، وتوخّي الضبطَ والابتعادِ عن اللحنِ في نطقِ الحروفِ (صفات محسّنة).

وابنُ عربيّ كانَ على اطّلاعٍ تامٍّ بحديثِ علماءِ التجويدِ واللغةِ فيما يخصُّ مسألةَ الصفاتِ، وقد ذكرَ أغلبَ الألقابِ الصفاتيةِ التي قرّت في الدرسِ، إلّا

أنّه لم يكن بصددِ التحليلِ اللغويّ، بل كانَ همّه إثباتَ ما يعتقدُه عِبرَ توظيفِ تلكَ الصفاتِ.

وصفةُ الهمزةِ عندَ القدماءِ مجهورةٌ شديدةٌ باتّفاقٍ، أمّا المحدثونَ فقد اختلفوا فيها، وأعني بصفةِ الجهرِ بالتحديدِ، فمنهم من وافقَ القدماءَ، ومنهم من قالَ بأنّها مهموسةٌ، ومنهم من قالَ بأنّها لا مجهورةٌ ولا مهموسةٌ[٣٠]، وهذا الاختلاف عندَ المحدثينَ سببُه رؤيتُهم لمعنى الجهرِ.

وبطبيعةِ الحالِ فإنّ ابنَ عربيّ ملتزمٌ بما اقرّه القدماءُ في صفةِ الهمزةِ، وقد استفادَ من صفةِ الجهرِ هذه ليربطَ هذا الحرفَ بعالمِ الشهادةِ، في حينِ ربطَ الأصواتَ المهموسةَ بعالمِ الغيبِ، وليسَ يخفى على الناظرِ المناسبةُ بينَ مفهومِ هاتينِ الصفتينِ ومفهومِ عالمِ الغيبِ والشهادةِ، فالغيب ما غابَ عنّا فلم ندركْه إلّا بفيضٍ من الله، أمّا عالم الشهادة فهو كلُّ ما نشهدُه من خلقٍ وندركُه.

والجهرُ في اللغةِ الإعلانُ والكشفُ والعلوُّ[٣١]، وفي الاصطلاحِ العلوُّ والوضوحُ في مجموعةٍ من الأصواتِ بسببِ تذبذبِ الأوتارِ الصوتيّةِ في الحنجرةِ عندَ النطقِ بها، ممّا يؤدّي إلى حدوثِ نغمةٍ ترفعُ جرسَ هذه الأصواتِ[٣٢]، والأصواتُ المجهورةُ عندَ القدماءِ (الهمزة، والباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والقاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء)، وأصواتُ المدِّ. فطبيعةُ هذه الصفةِ تنسجمُ معَ عالمِ الشهادةِ من حيثُ الظهورِ والبيانِ.

قالَ ابنُ عربيّ إنّ هذا العالمَ من الحروفِ جرت العادةُ أن يُدركَ بالحواسِّ، وهو عالمُ الملكِ والسلطانِ والقهرِ والشدّةِ والجهادِ والمقارعةِ، وفيهم قولُه تعالى: ((فاصدع بما تؤمر))[٣٣] وقولُه: ((واغلظ عليهم))[٣٤]. وهذا بوضوحٍ اتّفاقٌ بينَ الصفةِ للهمزةِ وهذه العوالمِ، أساسُه المعتقدُ لدى ابنِ عربيّ، مبنيٌّ على الذوقِ أو الكشفِ كما يدّعي.

وممّا يتّحدُ من الموجوداتِ في عالمِ الوجودِ معَ حرفِ الهمزةِ وما بصفتِها جريانُ الرياحِ وأصواتُ الرعودِ وهبوبُ النسيمِ، قالَ ابنُ عربيّ: ((وجرتِ الرياحُ ما بينَ زعزعٍ ورخاءٍ وهي الحروفُ الشديدةُ والرخوةُ، وظهرَ عن هذا النفَسِ أصواتُ الرعودِ كالحروفِ المجهورةِ وهبوبُ النسيمِ وهي الحروفُ المهموسةُ))[٣٥].

الخلاصةُ:

- تبيّنَ من خلالِ البحثِ أنّ ابنَ عربيّ ينظرُ للوجودِ على أنّه واحدٌ في كلِّ كياناتِه، وفيما بينَها توجدُ أنساقٌ جامعةٌ، وهذه الرؤيةُ يُهيّأ لها بواسطةِ الذوقِ والحسِّ الصوفيِّ، ولا دخلَ للحقيقةِ أو المنطقِ في ذلكَ.

- وتبيّنَ أيضًا أنّ مصاديقَ ابنِ عربيّ تنطبقُ معَ مخرجاتِ الدرسِ الصوتيِّ القديمِ، إذ يُعدُّ ما جاءَ به الدرسُ الصوتيُّ الحديثُ نقطةَ ضعفٍ في معتقداتِ الرجلِ؛ لأنّه التزمَ ما لم يثبتْ صدقَه تمامًا، وهذا الكلامُ لا ينطبقُ على صوتِ الهمزةِ فحسب، بل له شواهدَ أخرى لم يذكرها البحثُ لاختصاصِه بالهمزةِ.

الهوامش:

١- ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادّة (همز).

٢- ينظر: الكتاب: ٣ / ٥٤٨.

٣- ينظر: الأصواتُ اللغويّة: ٨٧.

٤- ينظر: مشكلة الهمزة العربيّة ، رمضان عبد التواب: ١٢.

٥- ينظر: المقتضب: ١ / ٣٢٨ ، وينظر: سرّ صناعة الإعراب ، ابن جني: ١ / ٤١.

٦- سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٤١ – ٤٣.

٧- ينظر: الهمزة دراسة لغويّة وصرفيّة ونحويّة (رسالة) ، سلوى محمّد عمر ، جامعة أمّ القرى (١٩٨٦م): ١٠.

٨- الفتوحات المكيّة: ١ / ١٠٦.

٩- ينظر: مشكلة الهمزة: ١٤.

١٠- العقد المنظوم فيما تحويه الحروف من الخواصّ والعلوم: ١٤١.

١١- الفتوحات المكيّة: ١ / ٨٦.

١٢- ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٨٦.

١٣- سورة الأعراف: ١٧.

١٤- الفتوحات المكيّة: ١ / ٨٧.

١٥- ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٨٩.

١٦- نفسه: ١ / ٩٥.

١٧- ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٨٦.

١٨- ينظر: العقد المنظوم : ١٨٣.

١٩- ينظر: الفتوحات المكية: ١ / ١٠٦.

٢٠- ينظر: المقاربة اللغويّة في الخطاب الصوفيّ ، عقيل عكموش: ٨٨.

٢١- جهد المقل ، المرعشيّ: ٦٠.

٢٢- ينظر: الكتاب ، سيبويه: ٤ / ٤٣٣ ، و سرّ صناعة الإعراب: ١ / ٤٦.

٢٣- الفتوحات المكيّة: ١ / ١٠٦.

٢٤- المصدر نفسه: ١ / ١٠٦.

٢٥- المصدر نفسه: ١ / ١٢٥.

٢٦- ينظر: المصدر نفسه: ١ / ٩٥.

٢٧- سورة الأنبياء: ٣٠.

٢٨- ينظر: الفتوحات المكيّة: ١ / ١٢٩.

٢٩- شرح المقدّمة الجزريّة ، طاش كبرى زادة: ١١.

٣٠- ينظر: الهمزة دراسة لغويّة وصرفيّة ونحويّة: ١٤.

٣١- ينظر: معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس: ٢١٠.

٣٢- ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، غانم قدوري: ١٢٧.

٣٣- سورة الحجر: ٩٤.

٣٤- سورة التوبة: ٧٣.

٣٥- الفتوحات المكيّة: ٤ / ٣١.

مصادرُ البحثِ:

١- القرآن الكريم
٢- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (د.ط)، ٢٠١٧ م.
٣- جهد المقل، المرعشيّ، تح: سالم قدّوري الحمد، دار عمّان، الأردن، ط٢، ٢٠٠٨ م.
٤- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري، مطبعة الخلود، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
٥- سرّ صناعة الإعراب، ابن جني (٣٩٢هـ)، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣ م.
٦- شرح المقدّمة الجزريّة، طاش كبري زادة، تح: محمّد سيدي محمّد، مجمّع الملك فهد للطباعة، السعوديّة، ط١، ٢٠٠١م.
٧- العقد المنظوم فيما تحويه الحروف من الخواصّ والعلوم، ابن عربيّ، تح: سعيد عبد الفتاح، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
٨- الفتوحات المكّيّة، ابن عربيّ، ضبطه: أحمد شمس الدين، منشورات محمّد علي بيضون ودار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
٩- الكتاب،عمرو بن عثمان (١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م.
١٠- مشكلة الهمزة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م.
١١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، اعتنى به: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨ م.
١٢- المقاربة اللغوية في الخطاب الصوفيّ الفتوحات المكيّة إنموذجا، عقيل عكموش العنبكيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
١٣- المقتضب، محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٤ م.
١٤- الهمزة دراسة لغوية وصرفية ونحويّة (رسالة)، سلوى محمّد عمر عرب، جامعة أمّ القرى، كليّة اللغة العربيّة، ١٩٨٦م.